كما أتبع تفصيل غرور الشيطان بعواقبه في الآخرة بقوله (إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) الآية وبذكر مقابل عواقبه من حال المؤمنين كذلك أتبع تفصيل غرور الأنفس أهلها بعواقبه وبذكر مقابله أيضا ليلتقي مال الغرورين ومقابلهما في ملتقى واحد ولكن قدم في الأول عاقبة أهل الغرور بالشيطان ثم ذكرت عاقبة أضدادهم وعكس في ما هنا لجريان ذكر عزة الله فقدم ما هو المناسب لآثار عزة الله في حزبه وجنده .

وجملة (إليه يصعد الكلم الطيب) مستأنفة استئنافا ابتدائيا بمناسبة تفصيل الغرور الذي يوقع فيه .

والمقصود أن أعمال المؤمنين هي التي تنفع ليعلم الناس أن أعمال المشركين سعي باطل . والقربات كلها ترجع إلى أقوال وأعمال فالأقوال ما كان ثناء على الله تعالى واستغفار ودعاء ودعاء الناس إلى الأعمال الصالحة . وتقدم ذكرها عند قوله تعالى (وقولوا قولا سديدا) في سورة الأحزاب . والأعمال فيها قربات كثيرة . وكان المشركون يتقربون إلى أصنامهم بالثناء والتمجيد كما قال أبو سفيان يوم أحد : اعل هبل وكانوا يتحنثون بأعمال من طواف وحج وإغاثة ملهوف وكان ذلك كله مشوبا بالإشراك لأنهم ينوون بها التقرب إلى الآلهة فلذلك نصبوا أصناما في الكعبة وجعلوا هبل وهو كبيرهم على سطح الكعبة وجعلوا إسافا ونائلة فوق الصفا والمروة لتكون مناسكهم لله مخلوطة بعبادة الآلة تحقيقا لمعنى الإشراك في جميع أعمالهم .

فلما قدم المجرور من قوله (إليه يصعد الكلم الطيب) أفيد أن كل ما يقدم من الكلم الطيب إلى غير الله لا طائل تحته .

وأما قوله (والعمل الصالح يرفعه) ف (العمل) مقابل (الكلم) أي الأفعال التي ليست من الكلام وضمير الرفع عائد إلى معاد الضمير المجرور في قوله (إليه) وهو اسم الجلالة من قوله (فلله العزة جميعا) . والضمير المنصوب من (يرفعه) عائد إلى (العمل الصالح) أي الله يرفع العمل الصالح .

والصعود : الإذهاب في مكان عال . والرفع : نقل الشيء من مكان إلى مكان أعلى منه فالصعود مستعار للبلوغ إلى عظيم القدر وهو كناية عن القبول لديه .

والرفع : حقيقته نقل الجسم من مقره إلى أعلى منه وهو هنا كناية للقبول عند عظيم لأن العظيم تتخيله التصورات رفيع المكان . فيكون كل من (يصعد) و (يرفع) تبعتين قرينتي مكنية بأن شبه جانب القبول عند الله تعالى بمكان مرتفع لا يصله إلا ما يصعد إليه .

فقوله (العمل) مبتدأ وخبره (يرفعه) وفي بناء المسند الفعلي على المسند إليه ما

يفيد تخصيص المسند إليه بالمسند فإذا انضم إليه سياق جملته عقب سياق جملة القصر المشعر بسريان حكم القصر إليه بالقرينة لاتحاد المقام إذ لا يتوهم أن يقصر صعود الكلم الطيب على الجانب الإلهي ثم يجعل لغيره شركة معه في رفع العمل الصالح تعين معنى التخصيص فصار المعنى : ا الذي يقبل من المؤمنين أقوالهم وأعمالهم الصالحة .

) على يعطف ولم (يرفعه) بجملة عنه بالإخبار الصالح العمل جانب في جيء وإنما A E الكلم الطيب) في حكم الصعود إلى ا مع تساوي الخبرين لفائدتين : أولهما : الإيماء إلى أن نوع العمل الصالح أهم من نوع الكلم الطيب على الجملة لأن معظم العمل الصالح أوسع نفعا من معظم الكلم الطيب (عدا كلمة الشهادتين وما ورد تفضيله من الأقوال في السنة مثل دعاء يوم عرفة) فلذلك أسند إلى ا رفعه بنفسه كقول النبي A " من تصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل ا إلا طيبا تلقاها الرحمن بيمينه وكلتا يديه يمين فيربيها له كما يربي أحدكم فلوه حتى تصير مثل الحبل " .

وثانيهما : أن الكلم الطيب يتكيف في الهواء فإسناد الصعود إليه مناسب لماهيته وأما العمل الصالح فهو كيفيات عارضة لذوات فاعلة ومفعولة فلا يناسبه إسناد الصعود إليه وإنما يحسن أن يجعل متعلقا لرفع يقع عليه ويسخره إلى الارتفاع .

(والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور [10]) هذا فريق من الذين يريدون العزة من المشركين وهم الذين ذكرهم ا تعالى في قوله (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك) الآية قاله أبو العالية فعطفهم على (من كان يريد العزة) تخصيص لهم بالذكر لما اختصوا به من تدبير المكر . وهو من عطف الخاص على العام للاهتمام بذكره